المدارس الوطنية (*)

في الديار المصرية

سعادة الامم بأعمالها، وكمال أعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف فيها، فكل أمة ترغب عن العلم فمآلها الى الشقاء شقاء الاستعباد وفقد الاستقلال، لا يعصمها منه اتساع مساحة بلادها، ولا كثرة أفرادها، ولا عظمة حكامها، ولا صحة دينها، ولا شرف أسلافها، ولا شيء مما يتعلل به المستر سالون مع الاوهام المنقادون بأزمة الغرور، وكل أمة نشطت لاقتباس العلوم والاستضاءة بنور الاعمال النافعة، فأقامت أساس مدنيتها على هدى، فبشرها بالسعادة سعادة المدنية الفاضلة، والحرية الشاملة، والسيادة الكاملة، لا يمنعها من هاتا قلة أفرادها، ولا احتلال الاجانب لبلادها، ولا استبسال حكامها، ولا اختلال نظامها، ولا فساد عقائدها، ولا قبح عوائدها، اذ العلم يصلح كل خلل، ويشفي من جميع العلل، يشهد بجميع ماقاله العيان، وينطق بصحته البرهان،

سل التاريخ عن أحوال الامم والشعوب التي سقطت في مهاوي العدم وماذا كان من السبب في سقوطها، وعن الامم الواقفة على شفا الخطر وماعلة يأسها وقنوطها، سله عن الدول التي طاولت السماء في رفعتها، وفاخرت الجبال في قوتها ومنعتها، وهزأت بعقاب الجو في عزتها وعصمتها، أصرح لك في القول: سله ما الذي أحل بالممالك التيمورية (الهندية) الدمار، وأوقف دولة الصين

(*) فاتحة العدد الخامس عشر الذي صدر في ٩ صفر سنة ١٣١٦.

العظيمة على شفا جرف هار، تنقص من أطرافها، وتتناوش من جميع أكنافها، ما الذي انتاش الولايات المتحدة الاميركية، وانقذها من مخالب السلطة الانكليزية، ما الذي نهض بالامة اليابانية، حتى طارت مع الامم الاوربية في كل جو، وسبحت معها في كل بحر، وضربت من الفنون بكل سهم ؟؟ اصخ بسمعك للتاريخ واستمع لما يتلوه عليك تجد ان جوابه عن هذا كله محصور في كلمتين وهما «علم وعمل، وجهل وكسل» فبالعلم والعمل يقرن كل تقدم ورقي، وعن الجهل والكسل ينشأ كل تأخر وهوي، فلكل غاية مبدأ، ولكل رغيبة طريق يوصل اليها، وكل من سار على الدرب وصل « وان تجد لسنة الله تبديلاً »

كل هذا من البديهيات الثابتة بالمشاهدة والاختبار فلا ينازع فيها الا الصم البكم العمي الذين لا يعقلون، فلنصرف النظر عنه الى تعميم التعليم المفيد والتربية على العمل النافع، ولنجعل موضوع كلامنا في ذلك البلاد المصرية وليس تخصيص القول بهذه البلاد مخرجاً له عن خدمة عامة الشرقيين فان أحوال الامم والشعوب يشبه بعضها بعضاً في الامور الكلية وتشابه البلاد الشرقية في اكثر شؤونها الجزئية لا سيما في موقفها الحرج امام أوربا فليعتبر بما نذكره في شأن مصر كل شرقي عاقل

تذاكر المصري من أي طبقة في سعادة بلاده فيحيبك ان ذلك لا يكون الا بجلاء الانكليز عنها. نعم ان منهم من يقول ان الاحتلال أذهب سابق الاختلال فكان شفاء وشقاء في وقت واحد لكنهم مع ذلك يعقلون حكمة شاعرهم القائل

اذا استشفيت من داء بداء فاقتل ما أعلك ماشفا كا

والصواب ان السعادة أمر وجودي لايحصل بمجرد الجلاء الذي هو أمر بمعنى العدمي لكنه شرط لكمالها، مثل الاحتلال الاجنبي في الامم كمثل جراثيم الامراض الوافدة، وميكروبات الادواء العارضة، لا يفتك كل منهما الا بالضعيف المختل نظام المعيشة وعلاجهما يشبه بعضه بعضا، تعالج الامم الادواء الحسية الوافدة بعلاجين كل منهما مفيد في نفسه ويحصل الكمال باجتماعهما كليهما. أحد العلاجين خارجي تكمله الامة الى حاكمها كالحاجر الصحية وثانيهما داخلي يتيسر على الاهلين القيام به بدون مساعدة الحكام، ويتعذر على الحاكمين القيام به على كماله بدون مساهمة المحكومين، وهو نظام أمر المعيشة بالنظافة العامة المصلحة لفساد الهواء والغذاء اللطيف والماء النقي المصفى المقوي ذلك كله لمزاج البدن بحيث يقدر على مدافعة كل عارض ومقاواة كل طاريء، كذلك ينبغي أن تعالج الاحتلال الاجنبي الذي هو مرض معنوي، الحكومة تصده عن الاغتال في شؤون الامة والولوغ في احشائها، والامة تجتهد في تقوية بنيتها بتعميم التعليم الصحيح والتربية الوطنية الحقة، حتى يحررها العلم والتهذيب فلا تفتك فيها ميكروبات الاستعباد، ولا تتأصل فيها جراثيم الاستبداد، وأعني بالحرية أن لاتخضع ارادة الامة الا لشريعة بلادها التي تنفذها فيها حكامها لا السفه والفجور الذي هو في مصر أكثر من الكثير

فعلى المصريين ان يكلوا مصادمة هجمات الاحتلال على مصالحهم ومنافعهم لسلطانهم الاعظم وأميرهم الانعم فهما (أيدهما الله تعالى) يذودان عنهم ما أمكن الذود كما وقع قريباً في مسألة بيع طرق حديد السودان

ويعملوا هم على اصلاح الخلل الداخلي بتأليف الشركات المالية وعقد الجمعيات الوطنية اللذان لا أمة ولا وطن بدونهما ، اللذان يمكن بهما مقاومة ما تفلت الى البلاد من جراثيم مرض الاحتلال (كيس الدائرة السنية) بحيث لا ينهك جسم الامة فيتعذر علاجها ، وتقوية مزاجها اللذان يتسنى بهما نفخ روح القوة والعزة في الامة بتعميم التربية والتعليم الذي يحض عليه الناصح ، ولا يعارض فيه الطامع ، ويثني عليه لسان المحال ، ولا يثني عنه عمل المحال ، (اسم من الحلول بمعنى الاحتلال) بهذا تكون سعادة الامة واذا حلت السعادة زال كل شقاء ، وتقشع سحاب كل بلاء ، لكن المصريين قد تركهم الاحتلال في أمر مريج فبعضهم يقول ان السعادة تحصل بمجرد الجلاء ، وبعضهم مرتكس بين أمواج الحيرة ، وبعضهم في يأس وقنوط من استقلال بلاده ونجاحها ، وبعضهم هداه النظر في أحوال العالم الانساني الى ان تعميم التربية والتعليم هما مناط السعادة ، لكن أكثرهم غافل عن قوة الامة والشعب على مثل هذا العمل العظيم ومعتقد انه لا يمكن ان يأتي الا من جانب الحكومة وهو يرى ان تعليم الحكومة ناقص كماً وكيفاً فلا ترجى به الحياة الوطنية. أما نقصه كما فهمناه ان مدارس الحكومة قليلة لا تفي بحاجة البلاد ولا يرجى ان تفي بها مع العسر المالي الذي يلجئها الى بيع املاكها شيئا فشيئا . وأما نقصه كيفا فهو انه ليس مبنياً على المحافظة على الدين وآدابه ولا مصطبغاً بالصبغة الجنسية والوطنية . وبغير ذلك لا يمكن ان تنهض البلاد وتحيا الامم والشعوب . ألم تر ان الامم الاوربية تعهد بالمدارس الى القسوس ورجال الدين غالباً في داخلية البلاد وأما في المستعمرات ونحوها من البلاد الخارجية التي ينشرون فيها مدنيتهم فانهم يتخذون الدين فيها عاملاً من

عوامل السياسة ولذلك ينيطون التعليم فيها بالجمعيات الدينية دون سواها. ومدارس الحكومة المصرية لا أثر فيها للصبغة الدينية، بل قيل ان الوليد يدخلها بدين ويخرج منها مارقا والعياذ بالله تعالى، الا اذا كان له أهل وعشيرة اتقياء بصراء يتعاهدون سيره ويحكمون ربط عقيدته، ولا أثر فيها للصبغة الوطنية ولا الجنسية أيضا فقد استبدلت اللغة الاجنبية باللغة العربية في التعليم، وأقيم التاريخ الانكليزي مقام التاريخ العثماني والمصري، واستغني عن الآداب العربية بالآداب الافرنجية، ويمتاض عن المعلمين الوطنيين بالاجانب شيئا فشيئا. وكل ذلك مما يغرس في قلوب المتعلمين عظمة الامم التي يتعلمون تاريخها وآدابها واحتقار أمتهم وجنسهم ودولتهم ماضيها وحاضرها. فأي خير يرجى من تعلمهم بهذه الصفة، واصطباغهم بهاته الصبغة؟ اما إنه ليتوقع شرها ولا يرجى خيرها. وكيف ترجى الحياة الوطنية من العامل على اماتتها ويؤمل ثبوت الجنسية الاصلية من الساعي بازالتها؟ ان هذا الاغرور

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها ويا حاطبا في غير حبلك تحطب

وخلاصة القول ان التعليم النافع للوطن والبلاد هو ما تحيا به الشعائر الدينية بتهذيب الاخلاق واصلاح الاعمال، وتقوى به الرابطة الجنسية والوطنية باحياء اللغة العربية ونقل جميع الفنون اليها بالتدريج، وجعل التعليم بها دون سواها، وبتمكين رابطة الامة المصرية بالجامعة العثمانية، وما دام زمام التعليم بأيدي الاجانب يجذبونه كيف أرادوا فلا يمكن أن نحصل الا على خلاف هذه الرغائب وهو استبدال حرية الفساد والفحش بآداب الدين، واللغة الانكليزية أو الفرنسوية باللغة العربية، وتمزيق الوطنية والجنسية شذر مذر، وبعد ذلك اما أن يتجنس المتعلمون بجنسية معلميهم

ومربيهم، واما أن يكونوا عونا لهم على مصالحهم، وفي كل ذلك امانة للجنس وتضييع للوطن الذي يراد احياؤه واعزازه بالتربية والتعليم

المصريون صنفان مسلمون وأقباط وقد نهض الاقباط من سنين فألفوا الجمعيات، وعقدوا الشركات، فأنشأوا المدارس الكثيرة لتعليم الابناء والبنات متبعين في ذلك سنن الامم المتمدنة، محافظين على شعائرهم الدينية، وحقوق جنسهم ووطنهم، مما يحمدهم عليه التاريخ ويحفظ لهم فيه مجداً مخلداً، أوشك أن يعم التعليم أفراد هذا الصنف النشيط فقد قدر بعض البصراء انه لا تمضي خمس عشرة سنة وفيهم ذكر أو أنثى يجهل القراءة والكتابة، كل هذا ولم يكن للمسلمين غير جمعية خيرية واحدة لم تقدر على انشاء أكثر من أربع مدارس حتى الآن

فما الذي منع المسلمين عن مجاراة جيرانهم ومواطنيهم مع امتزاجهم معهم امتزاج الماء بالراح؟ هل صدف بهم عن ذلك دينهم القائم على قاعدة حديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم»؟ ما أجهل صاحب هذا الوهم بدين الاسلام وما أبعده عنه، هل صدهم عن ذلك قلة الطول، (الغني والعطاء) وفقد القوة والحول؟ كيف وهم اكثر عدداً، واوفر مدداً، وابسط يداً، ولو بذلوا معشار ماينفقون في احتفالات الافراح والاحزان وضروب الترف والرفه على المعارف لكان كافياً في تعميمها، هل حجبهم عن ذلك الجهل بما ينجم عنه من الفوائد ومايترتب على فقده من الفوائل؟ أنى وفيهم من العقلاء المنبهين، والفضلاء المرغبين، عدد ليس بقليل ولا يحتاج فيما نحن فيه الى ان تكون الامة كلها عالمة لانه خلاف

المفروض. اذاً ما هو السبب الصحيح والعلة الحقيقية لهذا الامر العظيم ، والخطب الجسيم ؟؟

يظهر لنا ان ذلك ناشيء عن علل كثيرة لا محل لشرحها وكلها ترجع الى انقطاع الروابط والصلات التي ترتبط بها الجامعة العامة وتبرّؤ الامة من حولها وقوتها في جميع شؤونها ومصالحها الكلية الى حول الهيئة الحاكمة وقوتها ، ألم يأن لسحب الاوهام المتكاثفة ان تقشع ، ولشمس الحقيقة المحجبة ان تبرز وتسطع ، اما حان للنفوس أن ترجع الى رشادها ، وللهمم المعقولة ان تحل من وثاقها ؟؟ بلى ان لدينا ما يبشرنا بان المصريين قد أحسوا بالقوة الالهية المودعة في مجموع الشعب والامة وانها أعلى من كل القوى والقدر الكونية . وطفقوا يستعملونها كما استعملها غيرهم . نبههم وخزات الحوادث الكونية فتنبهوا ، وأزعجتهم الاخطار المحدقة بهم الى العمل فعملوا ،

قرأنا في المؤيد الاغر الصادر في غرة صفر الخير رسالة من مكاتبه في أسيوط مفادها ان سعادة الفاضل أحمد بك فائق مدير جرجا قد أهاب بنفوس أهل مديريته فهبت سراعاً ، واستنفرها فنفرت خفافاً وثقالاً ، بين لهم فوائد التعليم ومزاياه ودعاهم الى تأليف جمعية لهذا العمل الشريف فلبوا طائعين . قال المكاتب «وبدأ أعيان بندر جرجا في أول هذا العام بافتتاح مدرسة في بندرهم ثم تلاهم أعيان طهطا الذين شرعوا منذ ١٠ الجاري في بناء محل لسكنى المدرسة (التي فتحت في أول مايو) وفي الاسبوع الماضي دعا حضرة الوجيه عبد المجيد أفندي عبد الرحمن رئيس الجمعية التي تأسست في طما عدداً عظيماً من فضلاء ووجوه البلاد الى حضور الاحتفال

بافتتاح مدرسة النجاح بطما التي تأسست بعناية سعادة مدير جرجا ومساعدة حضرة الفاضل يوسف أفندي شوقي مأمور المركز فأجاب الجميع الدعوة » ثم ذكر في أمر الاحتفال ما ذكر . ونحن نرفع في «المنار» رايات الثناء لسعادة هذا المدير الكامل ، ومن ساعده على عمله من الافاضل ، هؤلاء هم الوطنيون المخلص ، هؤلاء هم المجددون لمجد أمتهم وملتهم ، هؤلاء أفضل العاملين ، وأنفع من الغزاة والمحاربين ، لاجرم ان العلم أفضل من الحرب والجهاد ، فافتتاح المدارس أفضل من افتتاح البلاد ، فنرجو ان يسري هذا الروح الشريف في سائر البلاد المصرية ، بل وفي جميع البلاد الشرقية ، وبالختام نرجو من سمو العزيز مولانا عباس باشا حلمي ان يكافئ سعادة مدير جرجا وحضرة مأمور طما ومن سعى سعيهما أحسن المكافأة إعلاء للعلم الذي هو أجل رغائب سموه في اسعاد بلاده وتنشيطاً لسائر رعيته على مثل هذا العمل وجرياً على سنة مولانا وسيدنا أمير المؤمنين السلطان الاعظم الذي يقتفي سموه أثره أدام الله سلطانه وعزيزنا ملجأ للمعارف ومصدراً للعوارف بمنه وكرمه اللهم آمين .

حاجة البشر الى الرسالة

(تابع ماقبله)

يحب الكلب سيده ويخلص له ويدافع عنه دفاع المستميت لما يرى أنه مصدر الاحسان اليه في سداد عوزه فصورة شبعه وريه وحمايته مقرونة في شعوره بصورة من يكفلها له فهو يتوقع فقدها بفقده فيحرص عليه